الفصل الثالث

تعريفات

ما هو الفيلم

الفيلم هو قصة تُحكى على جمهور في سلسلة من الصور المتحركة. ونستطيع أن نميز في هذا التعريف ثلاثة عناصر:

١ – القصة – وهو ما يُحكى.

٢ – والجمهور – وهو من يُحكى له القصة.

٣ – وسلسلة من الصور المتحركة: وهي الوسيلة التي تنقل بها القصة إلى الجمهور.

ولكن هنا أشكالا أخرى للفيلم تحكي بها القصة: كالرواية المكتوبة والمسرحية.

فما هي أوجه الخلاف بينها.

لقد كان الاختلاف بين الرواية المكتوبة والمسرحية والسينما محلا لمناقشات عديدة دامت سنين طويلة. وكلنها كلها تحكي قصة. ولابد أن تكون القصة في هذه الوسائل الثلاث محاكاة للحياة الواقعية والحوادث الواقعية. والخلاف بينهما لا يرجع إلى القصة ذاتها. ولا يرجع الخلاف أيضًا إلى الجمهور. فمن يشاهد أو يتفرج أو يقرأ القصة لا يختلف في الحالات الثلاث لأنه هو الجمهور دائمًا.

ولابد أن يكون الفارق إذن في الشكل. لأن الشكل وهو الطريقة التي تُحكى بها القصة، يختلف في الفنون الثلاثة. فإذا كان لنا غذن أن نكتشف طبيعة السينما فلابد أن نبدأ ببحث شكلها الخاص.

وليس لنا أن نقف عند هذا الحد. لأن الشكل يحدد طريقة حكاية القصة، وهذا ينطبق مع المسرحية والرواية المكتوبة والسينما سواء بسواء. بل إنه للأشكال المختلفة التي تحكي بها القصة تأثيرات متفاوتة: ويمكن القول أن الرواية المكتوبة تحكي القصة من خلال العيون، وأن الإذاعة تحكيها عن طريق الآذان، وأن المسرح الآذان والعيون معًا،. ولهذا فكل شكل فني يخاطب جمهورًا يختلف في نوعه وعدده وعمره.

بل إن القصة ذاتها تتأثر بالشكل. ولا يعني ذلك أنه يمكن أن تتغير أذ يجب ألا تكون الحوادث المعروضة في القصة مطابقة للشكل. إنما يجب أن تكون مطابقة للحياة فالواقع الذي ننقل منه ونقلده لا يختلف في الوسائل الفنية الثلاث. ولكن ما دامت الوسيلة التي تحكم بها القصة تختلف في كل منها فإن هذا يعني بأننا لا نستطيع أن نحكي كل القصص في كل الوسائل.

وأن ما يجب أن نعرفه هو أن ندرس الطبيعة التي تميز شكل السينما. علينا أن نبدأ في بحث الخواص المادية لأنها تحذو الوسائل التي تعبر بها السينما عن نفسها. ويمكننا بعد ذلك أن نتقدم من هذه الوسائل التعبيرية على الطريقة التي تحكي بها القصة، وإلى ما تحدثه من تأثير على الجمهور.